القمص يوسف أسعد

يوميات تائب

الجزء الأول

من

يوميات تائب

القمص يوسف أسعد

الكتاب: من يوميات نائب ـ الجزء الأول
المؤلف: القمص يوسف أسعد
الطبعة: الأولى: ١٩٨٢
الثانية: ١٩٨٨
الثالثة: ١٩٩٣
الرابعة: سبتمبر ٢٠٠٠
الخامسة: سبتمبر ٢٠٠٩
المطبعة: دار العالم العربى ـ الظاهر ـ القاهرة
إصدار: أبناء القمص يوسف أسعد
ص. ب. ٢١٢ الجيزة
رقم الايداع: ١٨٨٤ / ١٩٨٣

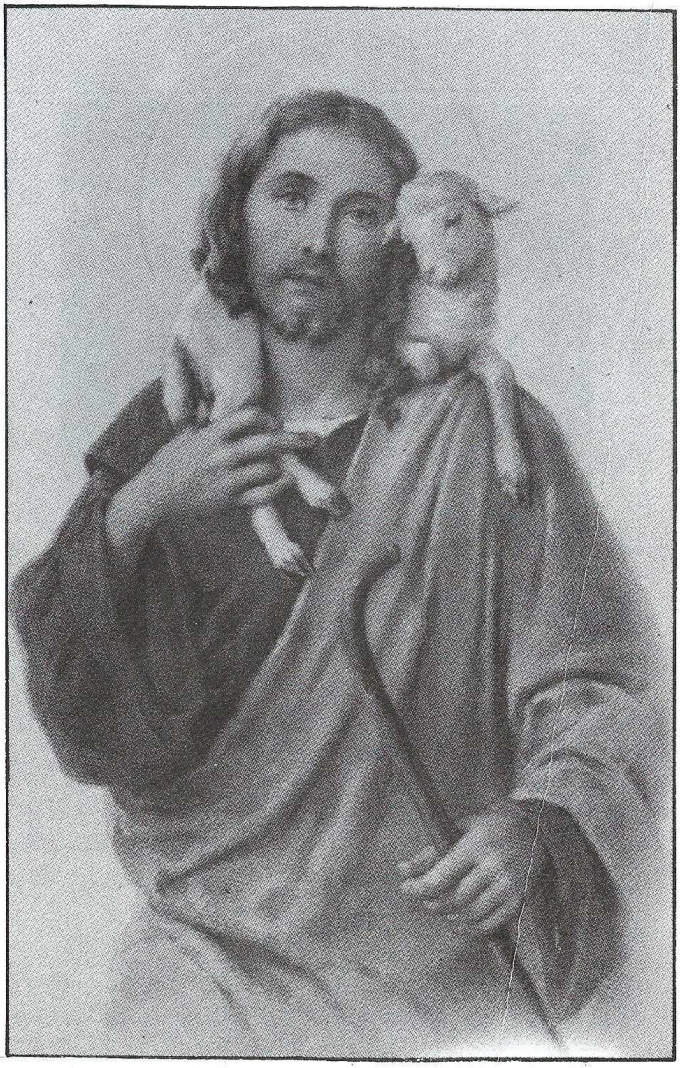

« من يحملني مثلك ياحبيب الخطاة التائبين ؟! »

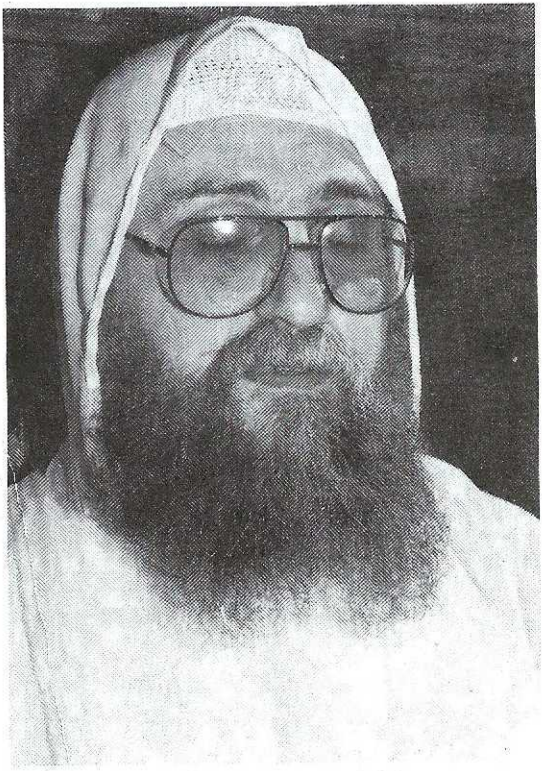

القمص يوسف أسعد

١٠

دق جرس التليفون في باكر صباح يوم عيد الغطاس المجيد .. وكان المتحدث يحمل إليّ نبأ وفاة والدته وميعاد تشييع جنازتها في نفس يوم العيد . ثم توالت المكالمات لتصبح ثلاث جنازات في ثلاث ساعات متتالية في يوم العيد . ساعتها قلت للتليفون : « أنت صديق ، لكنك شرير ! » ... وكانت هذه أول إدانة ظهرت بها حقيقتي أمام إلهي في يوم ظهوره الإلهي . وتأسفت في قلبي وفكري سريعاً ، لكن بعد سقوط .. وذهبت الجنازات الثلاث ، فكانت أعمق رسالة لتوبتي : إن أفخر أيامنا وأحلى أعيادنا ما هي إلا ظل ، لكن العيد الحقيقي هو الأبدية ...

ووجدت أن أجمل هدية أقدمها لإلهي يوم عيده أن أتوب عن الإهتمام الدنيوي بالأعياد وأدقق في توبتي لا سيما في الأعياد ، فربما أكون في نعش يصلي عني أيضاً يوم عيد !

١٠

إني زاني ، ومارست الزنا حتى أصبح عندي عادة ، وعادة محبوبة أسعى إليها وأرتب لها وأهنأ بها .

وفي الطريق صدفة ولكن بترتيبك الإلهي يامن تسعى وراء

الضال حتى توجده قابلت أبي المبارك الذي لما دعاني للإعتراف قلت له بهزءٍ : « ماذا ينفع الإعتراف ؟ إنه لا يعطيني لذة الزنا ! لأنك لم تجرب هذه المتعة تدعوني لغيبيات !! » .. فأجاب : « تعال اعترف ، ولن أمنعك من اللذة التي تحبها . المهم أن تأتي إسبوعياً للإعتراف » . ونجح أبي في أن يجعل قدمي تدخل الكنيسة ، وأنا مطمئن إلى وعده أنه لن يمنعني من الزنا ، فإنه صديق لطيف ولا مانع من الاستئناس به كإنسان ظريف ذو شخصية جذابة .

وفي أول لقاء داخل الكنيسة قال لي : « برافو إنك حضرت! » فقلت له : « أنا زنيت » فقال لي بهدوء : « معلش ربنا يسامحك كل ما تيجي تعترف . المهم أنك تأتي » . وتوالت لقاءاتي مع أبي القديس الذي لم أكن أعرف ما يصنعه لأجلي من جهاد مع المسيح وقديسيه بمجرد أن ينتهي لقائي به .

وبعد كل لقاء مع أبي كنت أرى تعقيداً في الزنا ، حتى وصلت مرة كنت أرتب فيها للزنا بكل قوتي وأجد ظروفاً عجيبة تمنع إتمامه ولأسباب كنت أعجب أشد العجب لها في وقتها ... ظروف عادية ، وأسباب تافهة ، وعراقيل معتادة ... إلى أن كرهت نفسي ، والزنا أيضاً . وذهبت بعدها للقاء أبي كالمعتاد ،

لكني بكيت متأثراً جداً وقلت له : « لقد تعقد الزنا جداً » . فاندهشت عندما قال لي : « سأصلي لك لكي ربنا يسهل لك ! » .... أهكذا يحبني لدرجة أنه يصلي لكي يسهل لي ربنا رغباتي ؟! كان عجيباً جداً ...

وذهبت للزنا أيضاً بعد لقائه ، لكن هذه المرة وجدت الباب مغلقاً تماماً ، ولما حاولت النفاذ تحطمت نفسيتي جداً وشعرت بإذلال شديد ... فرجعت في لقاء أبي الأسبوعي وقلت له : « أنا عارف إنك عملت فيّ مقلب ! ... قلت لي سأصلي لكي ربنا يسهّل ، لكن الواقع أن صلاتك عقدّت لي أكثر ! » .. فابتسم أبي وقال لي : « ماذا حدث ؟ » فرويت له ظروف عدم إتمام المحاولة الأخيرة ... فقام وقال : « تعال معي وأصنع ما أصنعه » ... وبدأ بجوار المذبح يعمل مطانيات وأنا واقف أتفرج عليه !. وبعد مرور نصف ساعة تقريباً وهو منهك في عمل المطانيات قام وقال لي : « ربنا يسامحك ويسامحني ياابني » ثم قرأ لي التحليل ...

ليلتها ذهبت لأنام في مخدعي نوماً عميقاً ، وفي أثنائه ظهر لي في حلم رجل شيخ وقور بلباس أبيض نوارني وقال لي : « إن كنت رأيت أبونا (فلان) يعمل مطانيات قدامك نصف ساعة

لكنه طوال الليل لم ينم من أجلك ... أنت نائم وهو يتعب بدموع لأجلك ... كفاك زنا وتب » .

قمت من نومي وكانت قيامة من الزنا ...

ولم أعد إليه مرة أخرى ... وشعرت أن الطهارة التي نلتها والتوبة التي أضرب طريقها بقدمين عاريتين للآن هي تاج يستحقه الله إلهي المحب الذي رأيته في جهاد أبي القديس عني .. ها أنا أطرحه تحت قدميك ياربي المحبوب لكي تسند توبتي بعكاز أبوتك المجاهدة في أبي الروحي .

٣

تحاربني الشهوة بشدة ، تارة تريد أن تسقطني وأقاومها ولا أتلذذ ، ومرات كثيرة أسقط فيها برغبتي متلذذاً ... وشكوت نفسي إلى الله في سر الإعتراف ... فقال لي أبي المبارك: «كلما تكمل شهوتك خذ كل ما في جيبك واصنع به رحمة مع مسكين!». فقلت لأبي: «سوف أفلس بعد لحظات، لأني عارف بوطأة الشهوة عليّ !! » فقال لي أبي : « لا ، بل سوف تغني بالطهارة » ... وشككت أولاً ، وخُفت ثانياً ، وترددت أخيراً ... إلى أن فتحت الكتاب المقدس بعد صلاة قصيرة فوجدت كلمة قاطعة قالها الرب للتلاميذ : « بل أعطوا ما عندكم

صدقة فهوذا كل شيء يكون نقياً لكم » (لو ١١ : ٤١) فتشجعت للطاعة ، وانتهى التردد .

وعندما عرضت عليّ تجربة شهوة قفز إلى ذهني وإرادتي صوت الله في أبي وأطعت، وكان بجيبي وقتها خمسة وأربعون جنيهاً. فأخرجتهم بثقة ، وأعطيتهم للرب في صندوق الفقراء بالكنيسة ورجعت إلى المنزل . وفي نومي نمت بطهارة لم أألفها ، وقمت في الصباح بنشاط لم أعهده في جسدي ... وكانت المفأجأة ! إذ أن تسعون جنيهاً كانت في انتظاري مع رسالة من صديق قديم استدان مني هذا المبلغ منذ سنوات ... فتذكرت أن أجر الطاعة ليس طهارتي التي أصلي إليك يارب لتضمنها لي حتى النفس الأخير ، ليس طهارتي فقط بل والرد المضاعف عند العطاء النقي ...

تعلمت من يومها أن التوبة صديق حميم للطاعة البسيطة .

٤ .

ما أحوجني يارب إلى الرحمة ، التي أترجاها منك يارب أمام جبال خطاياي وآثامي ...

محتاج إلى عمل الرحمة لكي تحلّ عليّ مراحمك . محتاج أن أقتنع بأن عمل رحمة واحد يُحصَدُ لا مائة بل ألف وربوات ...

تذكرت الآن الست أم فؤاد التي كان زوجها رجلاً ذو دخل مناسب لكنه ينفقه في تعاطي الخمر ويعطيها أقل القليل لتدبر بيتها ونفسها ... تذكر يوم أن كان لا يوجد في جيبها سوى عشرة قروش (سنة ١٩٥١) ستشترى منها عدس وعيش وفاكهة للغذاء ، وكانت رجلاها الإثنتان مصابتين بالتهاب ومع ذلك تحاملت على نفسها وهمّت بالخروج لتقضي حاجاتها .. فقابلتها على الباب الخارجي للشقة جارتها غير المسيحية لتطلب منها سلفة عشرة قروش ، فلم تتردد إطلاقاً أن تعطيها كل ما عندها ، ثم نزلت السلالم متثاقلة تفكر في الذهاب للبائع وأخذ حاجاتها على الحساب . وبينما هي تسير بتعب رأت سيدة تكبرها في السن تعاني في مشيتها معاناة أشد بكثير مما في ركبتها من التهاب ولا تعرف اسمها وليس لها علاقة بها من قريب أو بعيد ... فوقفت في مكانها بالشارع ، وبكت بدموع وصرخت من قلبها « يارب إن كان طلبتي لنفسي بالشفاء ستعطلك أن تذهب لهذه المرأة الأكثر تعباً فأرجوك أن تُشفي هي أولاً »!بهذه الرحمة العجيبة المتلاحقة سارت حتى قبل دكان بائع العدس بخطوات لتجد جنيهاً مصرياً كاملاً بلا صاحب ملقى على الأرض فتمسك به وتنادي : « لمن هذا ؟ » فإذا لم تجد له صاحباً فرحت أنه عطاء الرحمة التي لم تحرمها أن تشتري احتياجتها بوجه مخزي وبالدفع الكامل مع

شرائها لوازمها الأخرى ثم رجوعها بفائض مالي وتصعد السلالم وهي شاعرة أن قوة شفاء سرت في ركبتها أنهت الآلام تماماً لتجد جارتها غير المسيحية تقابلها وتقول لها « زوجي حضر ، أشكرك . ها هي العشرة قروش ! » ...

تذكرت هذه الرحمة البسيطة النقية : كم حملت لصاحبتها ثلاث بركات متعاقبة في زمن قياسي: فلم تكن العشرة قروش إحتياج الجارة إنما كانت إمتحاناً للرحمة ، ولم تكن صورة العجوز المتألمة منظر عابر إنما كانت إمتحاناً ... كانا إمتحاناً للرحمة ونقاوة القلب ... ولما كتبت بإحتياجها ودموعها صدق الرحمة في أعماقها نالت مراحم أعظم .

يا إلهي العظيم في مواهبه وعطاياه .. مهما كانت سقطاتي إعطني عمل الرحمة ، لاسيما عقب سقوطي مباشرة ... ومهما كانت تكلفة الرحمة ، إجعل لي القلب (أي : الفكر + العاطفة + الضمير) السريع في عمل الرحمة لكي تدركني مراحمك أيضاً سريعاً .

٥

يارب أنت كريم جداً ...

أنت ــ تعالى شأنك ــ في كل خطأ لا تقدم المغفرة فقط بل تطرح الخطأ في بحر النسيان وتمنح السنادة للتوبة أيضاً !

أنت تعالى شأنك ــ في كل رحمة من مراحمك تصنع قبلها لا محبة يوم أو شهر أو سنة إنما محبة ممتدة من بدء الأزل وإلى نهاية الأبدية إن كان لها نهاية !

أنت ــ تعالى شأنك ــ في كل صباح جديد يمر عليّ لا تمنحني غفراناً واحداً ولا تعطني رحمة واحدة ... لأنك إذ علّمت في وصاياك أن الإنسان يغفر لأخيه في اليوم الواحد سبع مرات سبعين مرة فكم تكون مغفرتك ومراحمك ياإله الإنسان ؟!!

أنت ــ تعالى شأنك ــ في عطائك للخليقة كلها بالندى النقي لا تنسى أن تغطي كل ضعف في جسدي ، وكل إنفعال في نفسي ، وكل خمول في روحي ...

أي كرم هذا ياحبيب الخطأة التائبين ؟!

إنه كرم يوبخ شحي وبخلي الشديدين في عمل الرحمة ...

فإني أعطي لمريض الحمى « اسبرينة » وأكون بعد هذا مستريحاً بل مفتخراً بأنني صنعت رحمة !!! ... وأعطى للعريان في السيرة والسمعة عظة كلام « استدفأ » وأكون بعد هذا مرتاح البال أني فعلت ما ينجي من المسئولية !!! ... وأعطي الجائع للطعام أو الابتسام فتات مائدتي إن لم أضق بها وألقي له بصفيحة زبالتي ويأخذني الفكر بأني المحسن والأوحد !!! ... وأعطي عروسك أمي فتات وقتي وشبابي وإمكانياتي وأظن أني بذلك فعلت مالم يفعله غيري !!!...

آه يارب من شحي وبخلي ...

ياكريماً في الغفران والرحمة : إشفني من قساوتي .

٦

أشكرك يارب من أجل أنك وضعت أمامي توبة (.....) ليلة رحيله للمجد ..

لقد عاش التوبة بجهاد ، ولم يُفهم .. كان يدقق مع نفسه ، ويعمل الرحمة بإتساع مع الآخرين ... أخذ خمسمائة جنيه من وفر ماهيته ونزل إلى إحدى الكنائس المحتاجة ووزعها هناك بينما والديه يشتكيان ويبحثان ...

كان يفكر في الرهبنة والاعتزال من أجل محبتك ... ولم يجد

واحداً شجعه ، حتى أنا أمسكت بقدميه .. وأكتفى هو بالبتولية زمناً ، فلم يرضى بذلك من حوله وألحوا عليه وبحثوا له ليتزوج ... وعندما قبل الزواج كطريق لتطبيق الإنجيل ، لا للشهوة ، وكعمل رحمة في والديه ، فاجأني بقوله : « تعرف الأخت ... اللى سلّمت عليك في صيام العذراء قدام باب الهيكل » ونعتها بصفة في رجلها . فقلت : « يابني هو أنا مخي دفتر ! » فألح وقال إنها من كنيسة كذا .. فأرسلته إلى أحد كهنتها الذي أعطاه بيانات كافية ، وأتى إلىّ وقال له كل البيانات « ومحتاج لقداس » ... فقلت له : « لماذا لا تختار زوجة ليس بها ما وصفت من عاهة في رجلها ؟ » فقال لي : « هل أنا ضامن أنزل من عند قدسك سليم ، ربما يحدث لي ما حدث لها ويسبب لي هذه العاهة فهل ترفضني إنسانة كزوج لذلك ؟! » ... كان ذا شهادة جامعية ، وكانت هى ذات شهادة متوسطة . كان من أسرة غنية اجتماعياً ، وكانت هى من أسرة متوسطة .. لكنه أصر على الزواج منها ، ولما فاتح أسرته إعترضت بشدة ، وحتى أخته التي رافقته ، لما رأت الحواري التي سبقت منزل هذه الفتاة قالت له : « بابا يرضى يجي يخطب لك من هنا » ولم تكمل المشوار إلى نهايته .. ورجع ..

رجع إلى السماء ، قبل أن يبدأ هذا الزواج ..

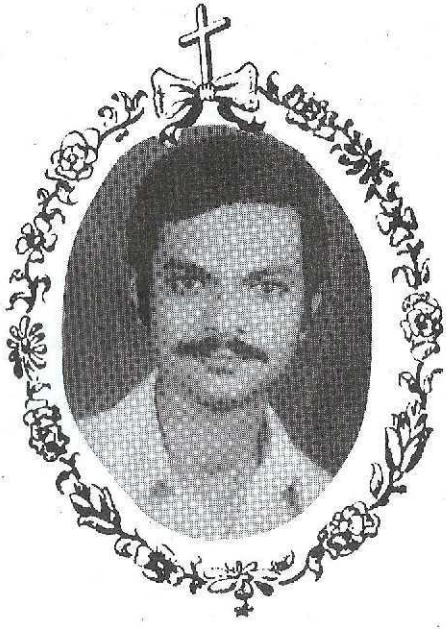

رجع إلى السماء في الليلة التي قرع بابي يقول : « عايز أعترف » ، وقدَّم لله توبة واعترافاً وكأنه كان يعد نفسه للزفاف الإلهي ... ففي الغد التالي كان قد رجع إلى السماء ... شاب صغير ، لكنه درس كبير في التوبة وجهاداتها وأعمال الرحمة مع والديه ومع أسرته ومع كثيرين ... عمر قصير ، لكنه رسائل عديدة لكثيرين أولهم أنا . وصلت رسالتك يارب ... فأعطني

أن أعيش التوبة بمفهوم الإنجيل مهما كان رأي الناس ، وأعطني النقاوة مهما كانت العكارة من حولي ، وأعطني اليقظة الدائمة الساهرة على توبتي كأن لحظة الرحيل الآن ... ونيح يارب نفس ابنك (....) لعله يذكر توبتي أمامك الآن .

٧

يارب هيىء لى أسباب التوبة ...

هوذا موسم للتوبة والنقاوة أرجو أن تحسبني فيه مع أهل نينوى القديسين الذين لم نسمع عن سبب آخر لتوبتهم سوى « مناداة يونان » يوماً واحداً قائلاً لهم « إنه بعد ٤٠ يوماً تنقلب المدينة » ! ... والذين لم تشهد لهم يارب يسوع المسيح عن أعمالهم سوى أنهم « تابوا بمناداة يونان » (مت١٢: ٤١) ! بمجرد سماعهم هذا النداء قامت المدينة كلها وتاب الشعب جميعه لهذا السبب الواحد كأنهم أطفال صدقوا مناداة يونان في الحال ، وتابوا في الحال .. كانت توبتهم بعمق وشمول بعد إيمانهم وتصديقهم . حتى الملك نزل عن كرسيه لكي يجلس الله على كرسي الملك واختار هو التراب ونزع عن نفسه رداء المُلك وتغطى بالمسوح .. كل ذلك فعله لمجرد أنه سمع ما قيل عن مناداة يونان ... لقد أعطى هؤلاء التائبون القديسون مالم يقدمه أهل السفينة نفسه : فأهل السفينة إحتاجوا إلى أسباب :

١ــ عصيان يونان ، ٢ــ كسل يونان ونومه ، ٣ــ ريح شديدة وعاصفة كادت تكسر السفينة ... حتى تجردوا عن أمتعتهم الكثيرة والثمينة وتابوا ونذروا وآمنوا .

أما يونان فاحتاج إلى أسباب أكثر :

١ــ لقد دعاه الرب للخدمة كسبب أول مثلما دعا يهوذا إلى خدمة الصندوق لعل دعوة الخدمة ذاتها تفيق الخادم إلى توبته فيتشرف ويشرّف ... ثم ٢ــ نداء أهل السفينة إليه للإستيقاظ والصلاة لإلهه ، ثم ٣ــ إلقاء القرعة عليه ، ثم ٤ــ الفضيحة أمامهم والتحقيق معه : « ما هو عملك ؟ ومن أين أتيت ؟ وما هي أرضك ؟ ومن أي شعب أنت ؟ » ٥ــ ثم الحوت الذي مهما كان كغواصة حامية لكنه سجناً يضغط (ولو بضيق التنفس أو التنفس غير الطبيعي) على يونان ليتوب ..

وهنا ، بعد خمس أسباب ظهرت أول بادرة توبة وهي صلاة من جوف الحوت .. ومن أجل هذه البادرة أمر الرب الحوت بإخراجه على أرض نينوى .

بعد هذه الفتيلة المدخنة من جانب يونان والتي لا يحتقرها الرب أبداً مهما كان ماضي صاحبها أمامه .. بعدها ٦ــ أعاده إلى رتبة الكارز مرة ثانية مثلما صنع مع بطرس « أتحبني ؟» ...

« ارع خرافي » ؛ حتى أنه إستخدم اسلوب الكرازة السريع فقد استغرق ندائه لنينوى يوماً واحداً وهي مسيرة ثلاثة أيام ... وكأن الرب يعلن له أن التوبة السريعة والعميقة والقوية لأهل نينوى ليس لإعداده المناسب للكرازة ولا لقدرته على التبليغ أو فصاحته في الإقناع ، بل بعمل الله في القلوب المستعدة لإلتقاط إشاراته السماوية بينما كان يونان في قلبه لا يتوقع ذلك ، وكان يمكن لهذه النتيجة الباهرة أن تفرحه إذ استخدم الله ضعفه وسرعته في عمل إلهي كبير تاب بواسطته ١٢٠ ألف نسمة ، إلا أنه إغتاظ ووقف يصلي « آه يارب » ! . وهذا سبب سابع لتوبة يونان نفسه :

٧ــ أن الله المحب سمح له بالصلاة والوقوف قدامه والتأوه من شيء ليس في محله لعل وقفته أمام الله ترهبه وتفيقه !! .. لكنه في الصلاة برر حكمته في الهروب مع أنه بخوف قال عن الرب أنه رحيم ورءوف ... وكان نتيجة أو ثمرة هذه الصلاة أنه خرج خارج نينوى وجلس شرقي منها وبنى لنفسه مظلة منتظراً تحقيق كلمته في أن توبتهم توبة سطحية سيعقبها سقوط سريع ! .. فأعاد الرب من جديد سبباً ثامناً للتوبة وهى ٨ــ اليقطينة ؛ النبات الذي نمى في ليلة لعله يفرح .. وفرح فعلاً فرحاً عظيماً ... ٩ــ حتى أرسل الرب الدودة في وقت لا يراها يونان فيها لئلا يقضي عليها إذ رآها تفسد اليقطينة ، أرسلها في وقت طلوع

الفجر لتضرب اليقطينة ، ١٠ــ ثم عند طلوع الشمس أرسل الرب ١١ــ ريحاً شرقية تحمل معها حرارة الشمس وتزيد من ضربة اليقطينة حتى انكسر يونان جداً وقال « موتي خير من حياتي » وهنا ١٢ــ نزل الرب بشخصه تعالى ليعاتب يونان : لماذا فرح ؟ ولماذا اغتم ؟ وكيف لا يشفق هو تعالى ويفرح على مدينة بها ١٢٠ ألف نسمة « لا يعرفون شمالهم من يمينهم » وبهائم كثيرة .. قد استفادوا وتابوا بهذه الإثنى عشر سبباً سعى الرب من أجل توبة يونان خادمه ونبيه !

أهكذا ياإلهي تتعب في توبة خدامك وأولادك ؟!! انني أفهم الآن لماذا قلت ياسيدي : « إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله » (مت٢١:٣١) ... لقد سبق أهل نينوى الوثنين الأممين النبي اليهودي وخادم الرب في التوبة وسرعة الإستجابة لندائها ولسبب واحد من الأسباب ...

ياإلهي .. أناديك أن تعاونني لكي لا أتعبك في توبتي ، بعد أن أتعبتك خطاياي وأحزنتك شروري وآثامي .. أريد ياإلهي أن أكون مريحاً لك في توبتي ، فلا لتستغرق معي الأسباب إلا سبباً واحداً : مناداة أو عظة أو قراءة أو حدث أطيعك من خلاله طاعة سريعة وعميقة .. نعم هييء نفسي بالطاعة الطفولية الكاملة

من أول سبب للتوبة تعرضه أمامي .. بشفاعة دمك الغالي وأهل نينوى القديسين أعطني يارب توبة السبب الواحد .

٨

قصتي مع الكذب بدأت منذ طفولتي ، عندما كنت أخاف والديّ أو أخاف على مشاعرهم فأخفي حقائق وأحداث عن تعمد ، لا ألبث بعد قليل أن أرى الله العجيب يكشف لهما ما أخفيت .. فيكون خزي وجهي لا يماثل ، والخجل من الخطأ وإخفائه لا يعفيان من عقوبتين لا عقوبة واحدة وحاولت أن أتوب ، وتعثرت مراراً ... ولكن في كل مرة أكذب كان يزداد افتضاحي أمام نفسي والناس ، وقبلهما قدام الله المرهوب جداً .

كانت محاولاتي الشخصية في إتجاه نحو الأخلاق ، وحتى في هذه المحاولات أخفيت أيضاً . وبدأت أدعو الله أن يحاول معي ، فاعترفت بكل الكذب قدام الله وعريت نفسي أمام أبي الكاهن . وقررت أن أفضح نفسي أمام إي إنسان أكذب عليه مستقبلاً ، بل قررت أيضاً أن أعاقب نفسي بالصوم الانقطاعي عن الوجبة التالية للوقت الذي أكذب فيه ... وكانت قناعتي أمام نفسي أن أكون صادقاً مع نفسي أولاً وثقتي بلا حدود في معونة الله المعضدة لإرادتي الضعيفة .

وبدأ العمل الإلهي مع ضعفي ، عندما دعوته وجاهدت بالاعتراف المستمر والتداريب ووضوح الهدف .. بدأ فعلاً عمل الله المقتدر عندما كذبت ونفذت القرار : فأعلن لي إلهي أني صرت محبوباً لديه لأني أجاهد لعلي أبلغ بدون انتظار لنتيجة الجهاد سلباً كانت أم إيجابياً ... كما هدأ صراعي لأني في عيني نفسي في وضعي الصحيح الصادق الذي أرضى به تماماً ، وفي عيني الناس مثلهم قابل للتعثر والسقوط ، ومازلت أجاهد للآن ضد الكذب في أشكاله الكثيرة ومسمياته العديدة لأنه ابن أبو الكذاب ، وصلواتكم تسند ضعفي .

٩ .

العاطفة مبارکة جداً ، بها ينمو إحساسي بتعب والدّى من أجلي ، وإحساسي بالبذل تجاه أولادي ، واحساسي بالحنو على أحفادي ... بها أرق للقلب المجروح ، وأرثي للإنسان المخدوع ، وأهدي للعزيز والمحبوب ... حقاً العاطفة مبارکة جداً لكنها تحولت عندي إلى تعلق فتحولت من رصيد يثري إلى فاقد يُعرّي ... تحولت من وقود يضرم إلى مرض يُفني . وياليتني تعلّقت بالله في وصاياه وفي أسراره وأشباه أسراره وفي قديسيه ! إنما تعلقت بالناس ، وأولهم أبي وأمي الجسديين اللذان

هما سفيران من الله أرى صورته البهية فيهما فأحبه وأتعلق به لا بهما .

والله أوصاني أن أكرم أبي وأمي ، وإكرام الوالدين أمر إنجيلي ... أما التعلق العاطفي فهو الذي من أجله قال ربنا يسوع المسيح « من أحب أباً أو أماً أكثر مني لا يستحقني » ... هذا المرض أصابني وعطلني عن التوبة ...

فصرخت ، وتاهت صرخاتي وسط ضجيج رغباتي ... وطلبت صوت الله في أب اعترافي ، الذي قلت له : « أريد السفر لوالديّ » محاولاً إخفاء تعلقي العاطفي تحت ستار أني أشبع لديهم الأبوة والأمومة أكثر من حاجاتي إلى رؤياهم . لكن روح الله القدوس الذي يملأ أبي فضح ما حاولت ستره بأوراق التين ، فنصحني ألا أسافر وألا أطيع تعلقي ... وتململت جداً ، وشعرت أن أبي الروحي يقسو عليّ ونسيت أني كنت أطلب صوت الله لا أبي ... وشعر أبي بذلك فقال لي : « أفعل ما تريد على أن تفتح الكتاب المقدس قبل ذلك في أي صفحة تقع عينيك عليها سوف تسمع صوت الله » فقلت له : « أنا لا أفهم » . فقال لي : « إن لم تفهم تعال إليّ وأنا بمعونة ربنا أفهمك » ..

وذهبت أصلي بحرارة لكي لا أجد معوقاً جديداً في توبتي .. وفتحت الكتاب المقدس لأجد الله يقول لي في أول آية وقعت عينيّ عليها « لا تنزل .. ولا تذهب » .. أشكرك يارب يامن علمتني أن التوبة هي : جهاد ضد رغباتي حتى التي تبدو صالحة ومباركة + مشورة إنجيلك (الكلمة المكتوبة في الكتاب المقدس مع الكلمة المسموعة في الإعتراف) + الطاعة القلبية لمشورة إنجيلك . وأسألك أن تمنحني عدم الإستسلام لرغباتي العاطفية ، بل بحزم المحبة النقية توبّني عن كل ميول بشرية ...

١٠

لماذا أكره الناس ؟!

لأني أجزيء الإنسان إلى أجزاء صغيرة : في التصرف في اللباس ، في الحديث ... الخ وأحكم على كل جزء منها بسرعة فائقة بدون تمهل وبدون فهم الأسباب أو النفاذ إلى جذور الأمور ...

ولماذا أكره نفسي ، وأصل إلى درجات اليأس ؟!

لأني أجزيء نفسي فأنظر إلى ضعفاتي وخطاياي ، وبمنظار معظّم أحكم على نفسي حكماً سريعاً غير متأنياً بدون محاولة الدخول إلى أعماقي واكتشاف التيارات الكبرى والعميقة في

نفسي ، وبدون النظر إلى معونة الله الذي خلقني والذي بقدرته أن يخلق من العدم ويعيد صياغة آنيتي مهما تهشمت ...

هكذا الكراهية خطية عظيمة بمثل هذا المقدار تجعلني أخسر الناس شركائي في الجهاد والمجد وأخسر نفس التي لا العالم وكل موجوداته يثمنها !

لذلك أصلي إلى الحب ، وأقرأ إنجيل الحب ، بشركة ليتورجيا الحب ، وبرفقة معلمي الحب آبائي .. لكي بهذا يمنحني الله الذي هو الحب النظرة المتأنية العميقة للأمور والناس وضعفي ، محاولاً بمعونة نعمته أن أعيد ترتيب المكعبات التي قسمها وبعثرها عدو الخير لأجعل للأمور الصورة التي قال عنها المختبرون أنها « تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » ... وأجعل للناس الصورة التي قال عنها يوسف الصديق : « أنتم قصدتم بي شراً لكن الله أراد خيراً ... وأجعل لنفسي دائماً الصورة الممتلئة رجاء التي تقول : « لا تشمتي بي ياعدوتي فإني إن سقطت أقوم » .

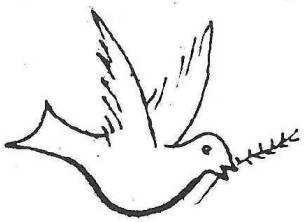

٠١١

ما أعجب حبكات الشيطان ليحرمني حب الأخوة وما أمجد ربنا يسوع المتواضع! من يقبل إتضاعه تنحل أمامه كل معقولات إبليس وتظهر له أساليبه الردية ...

والشيطان في حبك حروبه المنظمة على الحب والمحبين يضع الملابسات المترابطة والأفكار المنطقية لكي يزكي بها تجاربه ... وصدق ربنا المبارك الذي قال لأبينا أنبا أنطونيوس عندما رأى الشياطين وحروبهم كنارٍ ساقطة من السماء : «المتواضعون يفلتون منها» . لقد تصادمت إثنتان من النفوس التي أخدمها تصادماً محبوكاً في وقت وصلت فيه علاقتهما ببعض إلى الحب الصادق . وكنت قريباً من الإثنتان في ذلك اليوم دون أن يدنو إليّ أي علم بما حدث بينهما . وبالمصادفة تقابلت معي في نفس اليوم إحداهما دون أن تخبرني عن هذا التصادم ثم بعد قليل التقيت بالأخرى باكية فظننت أنها دموع توبة لذلك لم أسألها عن سبب الدموع . فابتدأ إبليس يمسك بهذا الخيط ليصنع منه شبكة فألقى في قلب الثانية أن الأولى أخبرتني بما حدث ولذلك تجاهلت دموعها ، حتى ضاقت جداً وقررت في نفسها قطع العلاقات التي تربطها بالأخرى وبي وبالموضوع كله ... وركبت

سيارة أجرة في طريق عودتها لمنزلها وقرارها يتزايد قوة ، فانكسرت السيارة بها في الطريق ووصلت منزلها بعد معاناة.. واستمر معها قرارها حتى النوم وطوال الليل والإستيقاظ في الصباح أيضاً ... وفي لحظة افتقدها الرب ــ لقلبها المحب ــ بفكرة متضعة : لماذا لا أذهب واستوضح ؟! .. والتقطت الفكرة كأنها لم تعرفها من قبل وقررت تنفيذها في الحال ، وقبل أن يواجهها إبليس بفكر مضاد يطفىء فيها هذه الفتيلة المدخنة ... وحالما أتتني سألت : هل اخبرتك النفس الفلانية والتي سبقتني في مقابلتك مباشرة عن شيء يخصنا ؟! .. فتعجبت مندهشاً وقلت لها : « لم تكلمني بكلمة واحدة ، فقد كانت تحمل إليّ رسالة مكتوبة ومعها دواءً شخصياً ! » ..

وهنا تنهدت وقلت آه يارب من حبكات إبليس ، لولا فكرة إتضاع ألقتها نعمتك في قلب يجاهد لأجلك واستقبلتها بالطاعة الفورية لكان حصاد هذه الجولة لحساب إبليس خصاماً وفرقة وما يتبعهما ... وعندما تأكدت من هذه الحبكة وأسلوب إبليس المتضمن دعوتها إلى النفس الأخرى المجاهدة مثلها لأجل الله وتقديم هدية محبة ... أطاعت بعد صلاة ، وكانت المفاجأة أن هذه النفس لم تقصد من هذا التصادم إلا محبتها وقطع طريق شرير وأسلوب خاطىء ... وتعانقا ، وقبلّا بعضهما قبلة محبة

توطدت أكثر بعد كشف إبليس وحيله ، واتضاع الإنسان واتساعه لحمل الخير والحب لنفسه ولغيره ...

• ساعدني يارب لأكتشف كل يوم هذه الحبكات التي تفسد أي حب صادق يمجدك وافتقدني دائماً بأفكار متضعة وأساليب وديعة لكي لا تعطل توبتي بل تنمو بالحب .

١٢ .

أنا أنسى حسنات الإنسان وأتذكر السيئة الواحدة أما أنت يارب فلست مثلي لأنك تنسى السيئات وتذكر الحسنة الواحدة بل وتجعل لها كرامة تمحو كل السيئات !! ...

لقد عزيتني اليوم كثيراً من خلال إمراة زانية من الإسكندرية عمدّها كاهن ، فأشتكى في حقه لدى البابا أنه عمدّ زانية زِناها معروف للمدينة كلها .

فلما تحقق البابا من الكاهن أنه عمدها سأله عن السبب فقال له الكاهن : « لقد زكاها الأراخنة الثلاثة فلان وفلان وفلان وحضروا معي عمادها » . هؤلاء الأراخنة ثلاثة من كبار خدام الاسكندرية . فأرسل البابا إلى الخدام الثلاثة يستدعيهم ، فلما صاروا في حضرته سألهم : هل زكيتم هذه المرأة للعماد ؟ .

فقالوا : لا. فاندهش البابا وسأل الكاهن ثانية فأصر الكاهن وتعرف على ثلاثتهم . فتحير البابا وأرسل للشماس الذي حضر المعمودية مع الكاهن ، الذي لما مَثُلَ بين يدي البابا أكدّ كلام الكاهن وتعرف على الثلاثة خدام بينما هم يصرون على إنكارهم معرفتهم بذلك .

وكان البابا حكيماً ، إذ أخذ الزانية على إنفراد وقال لها : إروي لي ما هي حياتك ؟ .. فلا بد أن هناك عملاً في حياتك به رحمة أو محبة . فاعترفت الزانية للبابا بشرورها لكنها قالت له بعد محاولة للتذكر : « تذكرت مرة واحدة كنت أسير في شوارع المدينة فرأيت رجلاً يهم بإلقاء نفسه من مكانٍ عالٍ للإنتحار .. فاضطربت أحشائي عليه واقتربت منه ولما سألته عن سبب إنتحاره قال إن بيته احتاج لمال كثير واستدان لذلك ودفعه المدين للمحكمة وليس معه وضاقت أمامه الدنيا في كل باب طرقه لم يجد وقرر إنهاء حياته . فقلت له : لا تحرم نفسك من الحياة ، ثم أعطيته ذهباً كان في يدي (أساور) وطيبت خاطره.فقال لها البابا : « لقد نسى الرب لك كل ماضيك ، ولأجل هذه الحسنة الواحدة أرسل ثلاثة ملائكة في هيئة ثلاث خدام كبار لكي يزكوا معموديتك للكاهن وتقبل توبتك ! »

• أشكرك يارب لأجل هذا الرجاء ...

بهذا الرجاء ثبّت جهادي في التوبة مهما كانت المعوقات واجعل آخرتي أكثر بركة من أوائلي .. وبهذا الرجاء علمني الرجاء في توبة الناس مهما كان موقعهم الحالي منك .

• ١٣

الألحان القبطية كالأيقونة القبطية ...

فالأيقونة القبطية تتميز بإيضاح الجوهر دون التدقيق في تفاصيل المظهر . فمثلاً للدلالة على البصيرة الروحية يهتم الفنان القبطي بإتساع العينين وكبر حجم الحدقة إهتماماً أكثر من تفاصيل البصر وملامح العينين ، وللدلالة على التسليم لله يعرض الفنان القبطي اليدين منبسطة إلى أعلى دون إيضاح لعُقَل الأصابع أو ثنيات الجلد .

هكذا الألحان القبطية لا تهتم بتفاصيل الإيقاع ومفردات النوتة بقدر إهتمامها بإيضاح جوهر الكلمات كعبادة وصلاة ورفع قلب ... لذا كما أن عديم القراءة والكتابة يستفيد من مشاهدته للأيقونة ويتعلم ، كذلك عديم الفهم الروحي أو اللغوي يستفيد من الألحان ويهتز وربما يبكي أو يرفع عينيه كصلاة ...

أكتب هذا لأشكرك يارب على نعمة الألحان القبطية التي

وضعتها أمامي لتخدم توبتي ، لا سيما ألحان موسم الصوم الكبير وأسبوع الآلام . كم أشكرك على الألحان التي تفجّر في عيني دموعاً وأنا جاهل بمعنى الكلمات القبطية ، فكم لو جاهدت لفهمها وتتبعت مع اللحن الفهم سيكون نصيبي أوفر في دموع تغسلني ؟!! ..

ما أجمل لحن نبوءة مراثي إرميا ، ولحن الدفن ؟!!

أشكرك حقاً يارب يامن ذخرت لتوبتي هذه الألحان ، ففي أثناء تمثيل الدفن على المذبح والهيكل يهتز من ألحان الشمامسة « جلجثا ... » اشتقت يإلهي أن تصلي عليّ صلاة دفن لآثامي وتعدياتي ، وموت إرادي أحياه عن كل تعلق جسدي وكل ما في العالم من خداع ، ودفن حقيقي لكل ماضي حياتي المخزي وانحلالي الحاضر مع رجاء حقيقي أن تقوم فيّ حياة أخرى وسلوك آخر وتطلع آخر ... كل هذا الاشتياق مبعثه فيّ هذا اللحن الجميل والروحي ، وها أنه أسكبه أمامك الآن طالباً بركة لكل الذين تعبوا في تسبيح هذه الألحان . مع توسل إلى أبوتك أن تديم لي ولكل من يترجى التوبة القرب من الألحان الصادرة من قلوب أنت يإلهي لحن حبها .. حتى أتعلم (مع كل ما أحياه في جهل) أن تصير ردودي أيضاً ألحان توبة حتى ولم تعبر عنها اللغة

واللسان ... فالحان التوبة : هدوء في القلب ومحبة نقية ، وسلام داخلي ... وهذه كلها ينبوع مختوم وجنة مغلقة لك وحدك يا حبيب الخطاة التائبين ...

١٤.

يا إلهي : لست تطيل أيامي على الأرض إلا لأنك محب ولا تشاء موت الخاطيء مثلما يرجع ويحيا ... نعم يارب إنه تمهل حقيقي لتوبة صادقة تنتظرني أن أقدمها لك ...

وأعرف أنك تتمهل عليّ أنا الخاطي ، بعد محبتك الأبدية التي تجزلها لي ، بسبب صلاة أبي القديس الذي كان يترجى التوبة من ضعفاتي دائماً وبثقة ينادي : « عندي رجا في ربنا تتوب » . أليس بسبب توسل وصلاة المرأة الكنعانية المؤمنة الواثقة المتضعة أنعمت على ابنتها بالشفاء ؟! .. بالتأكيد نعم .

لقد تذكرت عم بشاي الذي كان أباً لثمانية ، وذات يوم دخل بيته فوجد نسوة كثيرات يجلسن في ملابس حداد حول سرير لم تظهر زوجته الراقدة عليه لكثرة المزدحمين حولها منتظرين لحظة رحيلها بين حين وآخر . فما كان منه إلا أن طرد الجميع من حولها وتركها كما هي ثم دخل إلى حجرة مجاورة وأغلق بابها وظل

يصرخ وينادي : « لما أنت يارب عايز تأخذها أعطيتني ثمانية ليه ؟ تسيبهم لي على مين ؟! كما لم يطلقك يعقوب لن أطلقك » وفي نهر الدموع التي سالت على خديه نعس من كثرة التعب ، فرأى في إغفاءه رجلاً عادياً يأخذه إلى قاض يلبس طربوشاً وبيده عصا يقول له : « قد حكم لك في القضية كما حكم لحزقيا » ! .. فقام عم بشاي لتوه وفتح باب الحجرة الأخرى ليجد زوجته تناديه باسمه ففرح جداً وأخذها في حضنه وقال لها : « أنت بخير ياأم نبيل ؟ » فقالت له : « بخير ، أعطني لآكل » . فصنع لها بيديه كتكوت صغير وحالما أكلت عوفيت وكانت تقش الأرض ثاني يومٍ وتمارس عملها العادي . لكن عم بشاي الذي لا يعرف القراءة والكتابة طلب من أحد أقاربه أن يدون له تاريخ ذلك اليوم في ورقة احتفظ بها في محفظته وهو يقول : « لقد قال لي كما سمع حزقيا سمعني لذا ستعيش أم نبيل خمسة عشر عاماً أخرى .. أشكر الرب لهذا » .. وعاشت زوجته بصلاته النقية ترعى وتدبر أولادها خمسة عشر عاماً حتى صار أصغر ابن لها في دبلوم التجارة ، حتى قيل له زوجتك متعبة ... فرجع سريعاً ليجد نفس المنظر السابق من النسوة حولها لكنها مدت يدها إليه فصافحها وهو يهتف « مع السلامة ، ياأم نبيل ، لقد حقق المسيح وعده وأنا مش طماع أكثر » ... وأخرج الورقة من

محفظته لتقرأها له إحدى الحاضرات ويتأكد أنه قد مر على التاريخ المدون خمسة عشر عاماً تماماً باليوم !!

وحالما أغمضت أم نبيل عينيها عن الأرض فرح بصدق ، ولم يبك ، بل كان يقول : « المسيح طيب ومبارك جداً معي ، لقد وعدني ب ١٥ وتمم وعده حتى صار الأصغر قادراً على الحياة »!. .. هكذا صنعت صلاة عم بشاي في أم نبيل وأضافت إلى عمرها ...

لذا أومن ياإلهي أن العمر الذي تمنحه لي الآن وحتى كتابة هذه السطور هو من أجل صلاة أبي عني لتوبتي التي كانت تهمه جداً ...

● فأعطني ألا أستهين بغنى إمهالك ، وألا أكسر قلب أب يصلي للآن في المجد ... ومن أجل حبك وصلاة أبي إجعل كل لحظات عمري الباقية توبة حارة وثماراً تليق بالتوبة .

رنموا للرب يا أتقياءه
واحمدوا ذكر قدسه

مزمور ٣٠ : ٤

١٥

يارب يسوع : أوقفك اليهود في الحكم واستهزأوا بك ، وسخروا من كلامك . وكانوا معذورين لأنهم لم يعرفوك أنك أنت هو مخلص العالم .

أما أنا فماذا أحتاج ؟ اني أعرف أنك مخلص العالم ومخلصي الشخصي . أعرف ذلك لكني أوقفت وصايا إنجيلك أمام عينيّ محتقرة !. فكل وصية أحاول أن أحياها ثم أُعاق أو أعوق تنفيذها يساورني بعدها الشك في أن وصاياك قابلة للتطبيق أو يمكن أن تعاش في هذا الجيل . بينما وصايا أخرى أعيشها دون جهاد منى وأجني ثمر حمل النعمة لي بواسطتها لكن نار الشك الموقدة في أفكارى تجاه الإنجيل وتطبيقه لا تزال متوهجة . إننى اعترف لك بمحاولاتي المتكررة لوضع وصاياك تحت الفحص العقلي والشك التطبيقي والإنحلال الإتساعي الذي للعالم ، وهذا هو سر تعثري المتكرر في التوبة الجادة ... كما أعترف لك بالتمرد الخفي الذي يدفعني إلى الإستهانة بخبرة قديسيك المنتصرين والمجاهدين في طاعة وصاياك ، معللاً بأنهم من عصر غير عصري ومن جيل « مُقفل » غير جيلي « المتفتح » .. ولم أدرك أنهم أعموا عيونهم عن صراعات الفلسفة والمنطق الجدلي والنقاش العقلي ، فظهروا للعالم كأنهم عميان بينما كانوا هم الحقيقة ذو البصيرة النافذة

والخبرة الصادقة والمعرفة الصحيحة النقية .. ظهروا هم عميان ، أما أنا فأحاول أن أفتح عيناى .. لكني مسكين لأن كل محاولة عقلية للعبور في وصايا الله الصادقة هي عبور لمن هو مفتح العينين وسط ظلام حالك ، فماذا ينفع البصر في وسط القتام ؟!!

أنت قادر ، وقد اختبرتك قادراً أن تشفي نفسي من مرض الشك في وصاياك ووصايا قديسيك المنتصرين والمجاهدين ... درب نفسي في طريق التوبة على القبول البسيط لوصاياك ، ووصايا أبي الروحي . والتطبيق البسيط لوصاياك كما يعلمني أبي ، والحصاد البسيط لوصاياك كما يدربني أبي .. فليس أنجح من البساطة الروحية كدواء لداءٍ عنيد تفشى واستفحل أمره فيّ : أي داء الشك . ما لا أعرفه من أدويتك الشافية لا تمنعها عن ضعفي إلى أن أُشفى بالتمام .

- أصدقك من كل قلبي أنك أنت الرب شافيّ .

الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ

١٦ .

عجيب أنت يارب فيما تعرضه أمامي ..
فقد عرضت أمامي الأبوة التي كانت تعرفك من خلال الصلاة كل وقت وبأي مناسبة ولأي غرض ، يستوي عندها في ذلك النهار أو الليل ! وكم أشبعتني من خلال هذه الأبوة الحقيقية حلاوة اختبار .

وها أنت عارض أمامي أبوة تعرفك من خلال الكتب وتفسيرها بعظات كنت أسمعها جالساً على الرمل في الجبل أو في الكنائس فأشعر بلمسة شخصية منك تسري في كياني وتتحول إلى تداريب في حياتي .. ولم تكن في الحقيقة إلا كلماتك ياربي يسوع المسيح تخرج من فم تقدس بك فتحمل إليّ إلهامات توبة أقدمها بدموع لك ... كذلك تعرض أمامي لهذه الأبوة عينها كتابات روحية سهلة لكنها دسمة ومعزية ، وكلمات عميقة نثراً كانت أو أشعاراً لا تزال تشبعني بها وتفرحني رغم ما يحرمني من لقائها فماً لفم لانشغالات كثيرة .

هكذا عرفتني ياإلهي أنك روح واحد بسيط في طبيعته كثير الأنواع في فعله ... وأنك أب واحد لجميعنا ، حتى وإن عرضت الأبوة بوسائل مختلفة وأشخاص متباينين .

نعم لقد عرفتني أنك في التوبة تطلب تلمذتي الحقيقية الكاملة لك ، وإن كنت أتعلمها على يدي أصدقاء عديدين لك . تطلب مني التبعية الكاملة لك ولإنجيلك وإن كنت ألتصق كل فترة وبتدبيرك ــ بمعلم سبقني في التبعية لك .

● لهذا أتوسل إلى أبوتك الرحبة ألا تسمح لتوبتي أن تعُطَل ، ولا نموي أن يتوقف ، ولا سعي أن يفتر بمحاولة فتح أذني وعينّي لما يلهيني عنك بمن تعرضهم بحياتهم وأعمالهم وأتعابهم أمامي .. لكي أقترب منك أكثر وأزداد تشوقاً لنقاوة أبوتك الواحدة .

١٧ •

ذهبت لمقابلة أب اعترافي ونفسي مرة جداً بسبب تصرفات زميل لي ، وقلبي كان يمتلىء مرارة وألما كثيرين ...

وبدأ أبي الجلسة بالصلاة ، ثم تحدثت عن زميلي أنه صنع كذا وكذا وكذا ... إلى أن انتهيت من سرد ما يؤلمني ... ولما فتح أبي فاه للكلام قال لي سأسرد لك هذه القصة الحقيقية التي حدثت مع أحد معارفي بمدينة الشرقية (وقتئذ) . فأنصت وبدأ أبي يقول : [كان لرجل صائغ تجارة ناجحة قامت على أمانته وجهاده في التجارة متنقلاً على دابة من قرية لأخرى كان يُستَقبل فيها بالترحاب والتكريم .. ثم انتقل للسماء تاركاً هذه الثروة

لإبنيه ، اللذان تابعا تجارة والدهم حتى انتهى بهما المطاف في إحدى القرى حتى الغروب ، ففضلا المبيت في القرية حفاظاً على تجارتهم من لصوص الليل ... اهتدى فكرهما إلى المبيت طرف منقريوس (بك) الذي حالما قرعا بابه فتح لهما بترحاب ذاكراً لهما محبته وتقديره لوالدهم ، ثم دخل إلى زوجته وقال لها : "اذبحي ذكر بط واصنعي لقمة محبة لضيفين" ... وبينما أنهمكت الزوجة في إعداد العشاء كان منقريوس (بك) يرحب بالأخوين ... فدعا إحدهما إلى غسل يديه بماء الإبريق ... وبينما هو يُجالس أخوه الآخر سأله : ما الحال الآن بعد وفاة أبيك ؟! فأجابه : الحمد لله لولا حكمتي وحرصي لكانت الثروة تبددت لأنه « حمار » لا يفهم ! ... ولما أتى الثاني من غسل يديه سأله أيضاً : ما الحال الآن بعد وفاة أبيك ؟! فأجابه : كل شيء على ما يرام بفضل قدرتي على ملاطفة الزبائن لأن أخي « كالبغل » في التعامل يرفس دائماً !...

ولم يكد ينتهي من إجابته حتى قام منقريوس (بك) حتى بلغ زوجته في المطبخ قائلاً لها : "تعشى أنت والأولاد بالبط ، وأحضري صينية عليها طبقي فول بلدي جاف وشعير جاف وغطيها بأغطيتهما !." فأندهشت الزوجة لكنها لبّت طلب زوجها الذي لما حمل الصينية بما عليها وضعها أمام الضيفين وقال لهما :

نصلي ، وبعد انتهاء الصلاة قال لهما تفضلا العشاء ، فرفع كل منهما الغطاء عن طبقه ليجد كل منهما نفسه أمام مفاجأة غير متوقعة .. حتى سألاه : ما هذا يامنقريوس (بك) ؟!! .. فرد بهدوء الفيلسوف : « هذا الفول للحمار الذي قلت عنه إنه أخوك » . ثم نظر للثاني « أما هذا الشعير فللبغل الذي قلت عنه أنه أخوك ؟!! ...]

وما كاد أبي ينتهي من رواية هذه القصة حتى فاضت فيّ الدموع وصرخت في ضعفي : إرحمني يارب من إدانة زميلي ... فليس شيء يعيب الصلاة ويعوق التوبة قدر فتح عيناي على أخطاء غيري حتى لو كانت حقيقية .

علمني يارب كيف أحفظ فمي وشفتيّ لكي أتكلم بكلام يليق بالتائبين ، كلاماً يبارك ويطلب الغفران حتى للصالبين ، كلاماً يذكر الخير الواحد ويبرزه من بين ألف شر ... فلكل إنسان ميزات وضعفات ولكل مكان ميزّة وعيب ... فلتكن الضعفات ، ضعفاتي أنا ، والعيب فيّ أنا ... أما زميلي فله كل الميزات التي أتبارك بها ، ولكل مكان نفع أتبارك به ... نعم يارب فليس شيء يطفيء الروح الناري الذي استودعته كل خارج من معمودية الماء والروح قدر إدانة الناس ... فالشمعة التي توضع

بين نافذتين مفتوحتين إحتمال استمرار فعلها في الإنارة للآخرين ستكون حتماً صفراً ، أما إن أُغلقتْ نافذة وفُتحت أخرى فاحتمال بقائها حاملة لرسالة النور وسط الظلام ستكون حتماً أكثر ... فإن فتح زميلي باب فمه وتصرفه عليّ : علمني يارب أن أغلق فمي عن الإدانة وتصرفي عن الإساءة ...

علمني يارب أن أغلق فمي ، لتحفظ روحك الناري مضرماً فيّ فعل التوبة النقية ...

علمني يارب أن أغلق فمي ، لأفتح باب قلبي وعقلي لاستقبالك في تسبيح لا يتوقف ولا يفتر ...

• ١٨

ما أرق مشاعرك ياربي يسوع المسيح ؟! ...

أنت البار وحدك الذي قيل عنك « في كل ضيقتهم تضايق » أهكذا تعبّر لي عن شعورك ؟! ، أي أن كل ضيق يمر بي حتى ولو كان بسبب أخطائي أو لو كان ليس في محله ... في كل ضيق يمر بي تحس سريعاً وتشعر بعمق وتعيش معي معاناتي متضايقاً . كان يونان في غم ليس في محله ولكن قيل عنك « وأراد الرب أن يخلصه من غمه » ... وكان إيليا متعباً من الشعور بالوحدة والخوف من بطش آخاب فأرسلت له ملاكاً

بطعام وشراب يناديه « قم وكل » ... كل إحساس بالجوع يمر بإنسان على الأرض تحوله في رقة شعورك إلى جوع لك حتى أن تقديم طعام للجائع إعتبرته تقديم ذبيحة لك وهكذا كل إحساس بالحزن أياً كان نوعه ومهما كان الفعل المسبب له ، وكل عريان يحتاج إلى ثوب يستر جسده أو عمل محبة يستر عورته أو سمعته ، وكل سجين مظلوم لأجل الإيمان النقي ... كل هذا أظهرت لي فيه رقة شعورك أيها الإله العظيم وحدك إذ اعتبرت أن كلاً منهم يعايش صليباً ويرتفع فوقه مصلوباً ... أما أنت يا إلهي يا رقيق الشعور فجعلت موقعك كالعذراء الأم المعزية تلّمع الصليب ليظل موضوع فرح للمصلوب في طريق التوبة، أريتني يا إلهي ــ الرقيق الشعور ــ كما تكون الحساسية شديدة للخطية هكذا تكون المشاعر أكثر رقة تجاه الخطاة والمجربين والمصلوبين ...

علمني يا إلهي الرقيق الشعور أن التوبة كما هي عمل فردي شخصي تماماً هي عمل جماعي مع كل الخليقة في كل المسكونة : إحساس بكل إنسان ، وجهاد لراحة كل إنسان ، وصبر لتعضيد الإنسان ، ... نعم يا إلهي الرقيق الشعور ، ربما في هذا أضيع كلّيةً ، وتضيع حياتي وراحتي وأموالي ... لكنك أنت الذي بذلت الكل حتى الموت طمئنتني أنه ولو ضاعت حياتي لأجل حبك ولأجل انتشار إنجيل التوبة في قلوب كثيرين فإنني

سأجدها حتماً « من وجد حياته يضيّعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها » (مت١٠: ٣٩)

ياإلهي الرقيق الشعور ، علمني أنا المبتدىء في التوبة أن أراعي الألفاظ التي تخرج من بين شفتي لتكون ألفاظاً طيبة حلوة ، ألفاظ دفاع صادق عن مظلوم ، ألفاظ تشجيع وتعضيد ، ألفاظ حكمة وتوجيه ، ألفاظ توقير واحترام ، ألفاظ شكر واعتذار ألفاظاً تعبر عن قلب تائب رقيق الشعور يراعي شعور الآخر ...

ياإلهي الرقيق الشعور ، علمني وأنا مبتديء في التوبة أن أراعي التصرف لكي يُعبّر عن قلب يجاهد للنقاوة الحقيقية ... لكي تمتليء كل أعمالي من إحساس المديون الذي سامحه سيده بالكثير وعليه مهما كان دين العبد رفيقه أن يسامحه أيضاً بل ويختلق المعاذير حتى ولو كانت غير حقيقية ليبرر الآخر ويدين نفسه ... نعم ذكّرني يارقيق الشعور أنك تعتبر جرح الشعور الضعيف خطأ موجه إلى شخصك الإلهي (راجع ١كو٨: ١٢) ... ذكرني دوماً أن تلميذ المسيح التائب هو صاحب الشعور الرقيق والكلام الرقيق والتصرف الرقيق .

١٩ .

يارب أنت دعوتني للباب الضيق بكلمة « اجتهدوا » (لو١٣: ٢٤) . والتوبة باب ضيق وطريق ضيق كلما أحاول بجدية أن أتوب لكي أفرح قلبك يارب يسوع أجد ضيقه يكثر وعوائقه تزداد كثافة . فكيف تحتفظ النفس التائبة بحرارة ندمها وشوقها لك أيها العريس السمائي ومحبتها لك كملك تسود على القلب ومعظم من حولها يتهم التائبين بأنهم « عُقَد ؟! » ، وأشواقهم للنقاوة والملكوت « خيال وغيبية ؟! ، وحبهم لطاعة الوصية الإنجيلية « جنون ضد الواقع ؟! » ... وها هو الشيطان بكل شراسة يثير الحروب المختلفة الأشكال والعالم من حول النفس التائبة يتحالف معه إذ هو خاضع لرئاسته ! في هذا الطريق الضيق تكثر عثراتي ، ومحاولاتي المتكررة للتوبة دون نتيجة ملموسة أراها أو أحس بها فتزداد بذلك كربة الطريق ووحشته ...

لكن كلامك لي « اجتهدوا » سبق وعرفني أنك لا تطالبني بنتيجة في شيء بل نبهت الروح إلى الاجتهاد . والاجتهاد كأي عمل له وجهي النجاح والفشل معاً ، النجاح لا يزيد الأجرة والفشل لا يقلله .. بل روح الاجتهاد الحسن في أيهما هي التي تفتح الباب الضيق ليتسع في نهايته في رحابة الملكوت البهي ...

وروح الاجتهاد الحسن هي المحاولة المستمرة للتقريب بين المفروض والواقع .. فالواقع ملآن بالوديان الغائرة والمفروض قمم منعشة .. الواقع ملآن غدراً وخيانة ، والمفروض هو الحب الذي رأيته في شخصك الإلهي يبذل ذاته بلا هدف شخصي أو منال أرضي ... والمحاولة المستمرة للتقريب بين المفروض والواقع لا بد أن تترجم إلى أفعال داخل إطار .. هو إطار الجهاد القانوني ... وأنت ياربي لم تترك لي غير قانون واحد هو قانون المحبة ، التي لم تطلب ما لنفسها أبداً على الصليب وإلا لكانت نزلت كما طالبتها بذلك قوات البغضة التي تطالبني الآن بترك هذا الطريق الضيق . والسلوك بقانون المحبة يحتاج إلى تكميل ضعفاتي وتدريب لإرادتي وهذا ليس كلاماً بل تعباً كثيراً ... على رأى ماربولس هى خمسة عشر جهاداً على الأقل فهي : (١) طول أناة (٢) رفق (٣) لا حسد (٤) لا تفاخر (٥) لا انتفاخ (٦) لا تقبيح (٧) لا طلب لنفسها (٨) لا احتداد (٩) لا تظن السوء (١٠) لا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق (١١) تحتمل كل شيء (١٢) تصدق كل شيء (١٣) ترجو كل شيء (١٤) تصبر على كل شيء (١٥) لا تسقط أبداً .

فأعني ياسيدي الصالح ، الذي يرثي لضعفي ، أن أُكمل جهادات قانون المحبة مستنداً إلى مشورة وإرشاد وعكاز أبي

الذي أرجوك أن تحفظ في قلبه إستنارة ليمسك بيدي من الواقع الساقط إلى المفروض المجاهد ...

من أجل محبتك التي سلكت في الطريق الضيق قبلي .. طريق الصليب ، يايسوع الممجد في كل شيء والمنتصر الآن والجالس عن يمين العظمة ، إذ سلكت طريق الصليب ووعدت أن تعين الضعفاء المجربين أمثالي .. تمجّد في جهاد عبدك للتوبة ، واسندني بيمينك فأتمم الجهاد القانوني بالمحبة التي لك ولكل أحد .

٢٠

هل يمكن أن تتغير مسالكي الشريرة تغييراً كاملاً ؟! ... هل ما سمعته عن تغيير المجدلية والسامرية وشاول الطرسوسي وليديا في فيلبي وغيرهم لا يزال ممكن الحدوث الآن ؟! هل تحويل الهدف من التراب للسماء ومن اللذة الشريرة إلى العفة الصالحة يمكن تحقيقه في أي سن من عمري وفي أي مجال من مجالات معيشتي ؟! ...

هذه الأسئلة وغيرها وردت على ذهني وأنا أتلقى دعوة من ربنا يسوع لإفتقاد راقصة ! ... لقد أتت هذه الدعوة بواسطة أحد الروحيين ، وكانت جديدة تماماً بالنسبة لي ... فكرت ، ثم صليت ، وقررت أن أطرق الباب : باب الله المفتوح دائماً ...

وكان صوته في الكتاب المقدس مطابقاً تماماً لما سمعته من فم أبي : « إذهب ولا ترهب ، لأن الرب معك » ... ومع ذلك عدت أقرع باب الله في القداسات ...

ثم ذهبت إلى منزلها ، وسألت البواب عن معياد حضورها ، وفي الموعد طرقت باب بيتها ... ففتح لي إنسان وسألت عنها فأتت إليّ إنسانة شبه عارية الجسد وقالت لي : نعم أنا فلانة ... فأجبت : هل يمكن أن أتحدث معك قليلاً . فقالت بتهكم : وسيادتك تطلع مين بقى ؟ قلت : إنسان يترجى رحمة الله ... ضحكت ضحكة خاصة ثم قالت : اتفضل ولما دخلت وجدت كؤوس خمر ، وسجائر ، وأوراق لعب ، ... الخ ، وجلست هي ممدودة الجسم على كنبة بينما كان الحديث الذي وضعه الرب في فمي هو : احتياج الإنسان الدائم ... ماذا يسده ؟! ... وبعد أكثر من ساعتين كنت فيهما الطرف الوحيد المتحدث بينما هي مستمعة تشرب من كؤوسها وسجائرها دون أن تلفظ بكلمة ... حتى وجدتها تقول : « والله كلام لذيذ ... أبقى فوت عليّ مرة أخرى » . وعندما طلبت منها أن أصلي ظلت هي ممدودة ، وتحدثت مع الله الرحوم محب كل الخطاة وفاتح ذراعيه لكل تائب ... وخرجت ، لأعود لها مرة ثانية وأجدها بنفس المنظر تقريباً ... وتكرر ذلك مرات بطلبها ، إلى يوم وجدتها تفتح الباب وعلى

جسدها روب ! ففرحت جداً لأن هذه الخطوة الواحدة ليست محتقرة لدى الرب بل هي في الواقع بداءة لكل رحلة ألف ميل ...

وتوالت زيارات نعمة الله لقلبها ، فعرف جسدها السترة وعرف شعرها الإيشارب .. وبدأت تفرغ ماضٍ مظلم تحت قدمي الله في إعتراف أخجلني من نفسي ! .. لقد كنت شاهداً لتوبة وتغيير مسار جذري في حياة لم يكن يخطر على بال أحد أن تتغير هكذا بقوة وعمق ... حتى أنني فوجئت بتصرف تائب عميق جداً لا يصدر إلا عن عمل قوي لنعمة الله المخلّصة ، وعندما اتصلت بي تليفونياً وطلبت زيارتي فذهبت إليها لأجدها قد اتخذت قراراً يمثل عمقاً مدهشاً في التوبة . قالت لي : « كانت لي عمارة جمعت أموالها من الزنا ، قررت بيعها وبعتها فعلاً فماذا أفعل وها هو مالها ؟!.. » ساعتها قلت على سبيل المزاح : « إرميها في ترعة ... ربنا عايز قلبك مش فلوسك » .. وغيرت مجرى الحديث لأعرف سبب هذا التصرف ... وفي تأدب لم ألفه ، وفي سرعة لا توجد في قلوب قادة ، استأذنت ولبست ثيابها وأحضرت بيدها شنطة بلاستيك ... وبعد الصلاة ، قالت لي ممكن أذهب مع قدسك للكنيسة ؟ ... فلم أمانع بل رحبت ... وفي الطريق استأذنت أن أتوقف بالسيارة ، فوقفت ووجدتها تفتح لي الشنطة

البلاستيك وتريني أنها ثمن العمارة ثم في سرعة البرق التي لم تعطني فرصة حتى لمراجعتها جرت نحو ترعة مجاورة وألقت الثمن كله في مائها !!!...

في الطريق إلى الكنيسة قلت لنفسي : أني أمام نموذج حيّ لما سمعته عن التائبة مريم المصرية والتائب موسى الأسود ... وقبلّت التراب على عتبة باب الكنيسة أمجد الله القادر أن يغيّر القلب والسلوك تغييراً جذرياً ...

ترى لماذا أكتب اليوم هذا ؟ ... لأني عائد الآن من الصلاة على جثمانها الطاهر الذي لما اقتربت منه لأقبلّه قبل الصلاة وبعدها شممت رائحة البخور تفوح من داخل نعشها ... رائحة التوبة الحقيقية ، رائحة التغيير الجذري الحقيقي نحو ملكوت السموات ... اذكريني يا ابنتي .

٢١ •

يارب : شكواى من كل شيء مستمرة .. حتى الذي اختاره بنفسي ليريحني يصير بعد قليل مصدراً لشكواي ! ... أطلب الزواج ، وأسعى واختار وأرتب بهوى شخصي بحت ربما لا ألتفت معه إلى صوتك يارب أو صوت والدي أو صوت من سبقني من المختبرين ... وبعد الزواج

أبدأ التذمر على الزوجة أو الزوج وعلى العيشة أو المسئولية ، ويزداد تذمري مع الأيام. أطلب الرهبنة ، وأسعى وأطرق أبواب الأديرة وأجاهد في تلمذة جادة ، حتى أقنع نفسي والناس بأن لا طريق لي غير الرهبنة ... ولما تطرق قدامي باب الرهبنة أجد الدير ورهبانه لا يعجبوني وأن النزول للخدمة هو الحل والطريق الأصح أو أنتقل من دير لآخر ... حتى لا أجد موضوعاً يخلو من نقدي وتذمري ...

أطلب التكريس البتولي وأثق أنه الطريق الأمثل لحياتي وخدمة الإنجيل ... وأجاهد لكي أقنع عائلتي وأبدأ في موضع تكريسي لله حتى أجد نفسي ملآنة تذمراً على التكريس والمكرسين وأحاول أن أجد مخرجاً لطريق آخر حتى أبلغه ومتى وصلته يصل إليه تذمري قبلي صديقاً دائماً للمثل الذي يقول : « لا يعجبه العجب ! » ....

تزوجت ... أو ترهبنت ... أو تكرست للمسيح ... سواء بسواء ، لأن التذمر يلازمني في كل شيء .. لماذا ؟ لا أريد أن أعرف ، لكن أريد يارب أن تتوبني عن هذه الخطية : خطية التذمر ...

+ علمني يارب أن لا أختار لنفسي زماناً أو إنساناً أو مكاناً

... بل امنحني التسليم الطفولي الكامل لإختيارك ... ومهما كان إختيارك يارب مراً فقد سمعت من أفواه المختبرين أن المر الذي تختاره لي أحلى من الشهد الذي اختاره لنفسي ...

+ ثم امنحني يارب أن أكون شاكراً على كل شيء وفي كل شيء ... فالشكر هو النعمة التي تمنحني إياها يارب لا عن استحقاق بل لاحتياج فعلي أشعر به ..

+ ثم درّب يديّ أن تحول كل ليمونة مالحة إلى شراب حلو سائغ ... بالنظر إليك أنت يا كلك حلاوة ، ومع ذلك احتملت لنفسك مقاومة ! .. فالنظر إليك في أي طريق وأية أوضاع يخفف من المعاناة بل ويحولها إلى لذة قادرة على إسعادي وإسعاد من حولي .

+ ثم أعطِ عينّي إستنارة لكي دائماً لا أحدق إلا على النقاوة في أي طريق وأي مكان ... فأي طريق وأي مكان تلازمني فيهما النقاوة تجعل عينّي تبصرانك ...

+ أيها العريس البهي كوعدك أن « أنقياء القلب يعاينون الله » .... قلباً نقياً دائماً أخلقه فيّ يارب لأرى كل الطرق وطريقي بالذات وكل المواضع ووضعي

بالذات مباركاً لمن يطلب البركة : بركة التسليم الطفولي ، والشكر الجميل ، وتخفيف الحمل الثقيل ، والنقاوة القلبية .

٢٢ .

ظلّ صديق أمين يمدحني عن حق أكثر من ساعة ، ولما نهض منصرفاً صدّقت في نفسي أن ما قاله صديقي فيّ حقيقي .. وبعد إنتهاء مقابلته مباشرة دخل إليّ شاب محب ظل ساعتين يتحدث معي في احتداد عن أخطاء رآها فيّ وضعفات أمسكها لي ، وانصرف مودعاً مني بقبلة محبة وهدية تقدير ...

ولما رجعت إلى نفسي في الليل ، ومع قلمي وورقتي أكتب الآن : ما السر في لقائي بهذين الأصدقاء الذات تلو بعضهما ، وما هي رسالة الرب لي بواسطتهما ؟

ياإلهي ... إن هذه محبة جديدة ألمسها في أبوتك الساهرة عليّ هذا اليوم ...

فأنت الذي تكشف أعماقي ، وترى فيّ الظاهر والخفي ...

أما خطاياي الظاهرة وضعفاتي الواضحة فإنها تجرني للمحاكمة من أفواه الناس ...

لكن خطاياي المستترة فهي أخطبوط يلف لي وأنا بين أذرعه

مطبق عليّ لا أعرف الفكاك من قبضته لهلاك محقق ... هذه لا ألحظها بسهولة ، لكني أدرك قوتها التدميرية لكل نافع وروحي في كياني ...

فمحبة مديح الناس تفسد كل ورع وخشوع في قلبي تجاه وصاياك ، وتفرغ صلاتي من الإنسحاق ، وتحرم ذهني من استنارة الروح ، وتدفعني إلى عدم احتمال الذي يكويني بالإهانة ... هذه الخطية المستترة تجر وراءها خطية أخرى خفية هي محاولة عد فضائلي وأعمالي الطيبة كما أتصورها لا لكي أذكرها لنفسي فأمتدحها فقط بل لكي أُلفت النظر إليها أيضاً لتكون وقوداً للمديح الذي أطلبه وأحبه ، وهذا الشر العظيم يجعلني أصدق ذلك فأنسى خطاياي ...

آه يارب ... إن الخطايا الظاهرة تستغرق وقتاً لتفسد ، أما الخطايا المستترة ففعلها المهلك لا يستغرق كثيراً ... لقد أرادت نعمتك إيضاح ذلك عندما أمرت عبدك حزقيال النبي أن يرقد على جنبه الأيسر (كرمز للخطايا الظاهرة) ٣٩٠ يوماً ، بينما يرقد على جنبه الأيمن (رمز الخطايا المستترة) ٤٠ يوماً فقط !

آه يارب ... لقد صدقت أخي الأول أن لي من الفضائل ٩٩ ، لكن تبقى الفضيلة الغائبة من حياتي والتي بسببها أرسلت

لي أخي الثاني ليذكرني أن الصلاح الحقيقي هو ترك ال ٩٩ والبحث عن الواحد الضال !...

لهذا أشكرك يارب أنك ذكرتني اليوم بأنه مهما مدحني الناس أو حاولت مدح نفسي أن هناك خطية مستترة تحتاج لجهاد سريع ، وهناك فضيلة غائبة تحتاج لتدريب متواصل ... وامنحني يامعلمي الصالح البصيرة المميّزة لكي أفضح هذه الخطايا أولاً بأول ، وإن أرسلت من يفضحها لي أمنحه بركة مضاعفة وامنحني لأجل حبه اليقظة الدائمة والسهر المستمر لكي لا يزرع العدو زواناً في كرم هو من غرس يمينك رويته بدم جبينك ...

٢٣ •

يارب أترجى صفحك وسماحك عن خطاياي كل لحظة ، لكن يصعب عليّ الصفح مع المسيئين إليّ ... أعجب من قدرتك على النسيان وأنا أتذكر الإساءات تذكاراً دائماً !. كيف إذن أحيا التوبة أو أطلبها وهي كنز خفي ينبغي لأجله أن أبيع حقل الإساءات لأشتريها ؟! أكتب هذا الآن وقلبي متوجع بسبب إساءة لحقت بي من أحد أبنائي الروحيين ، ودخلت إلى مخدعي فلم تتوقف أذيتها لي حتى أني لم أتمكن من الصلاة ... فخرجت إلى الشارع الكنسي لأرى نيافة المتنيح طيب الذكر الأنبا مرقس مطران أبو تيج وطهطا وطما

وهو يقف متوكأ على عكازه في القداس الإلهي بينما أبونا غبريال (وهو أحد الكهنة الذين سامهم بيده المباركة) يصلي الأواشي عقب صلاة المجمع فيصلي للأب البطريرك فقط دون أن يذكر الأب المطران ، وحينما نبهه لذلك أحد الشمامسة أصرّ وواصل الصلاة . فما كان من المطران إلا أن يصلي لأجل هذا الكاهن بصوتٍ عالٍ في الأواشي السرية قبل التناول مباشرةً قائلاً : « اذكر يارب أبونا غبريال وباركه » .. وعقب انتهاء القداس قال الأب المطران للكاهن « أنا رايح أشرب شاي عندك ياأبونا غبريال » ! وبهذا التصرف التائب عبَّر عن قلب صفوح يحيا التوبة حقاً .

وقفت على ناصية ذلك الشارع والدموع تتفجر كنهر ، أبكي بكاءً مسموعاً .. إني أجاهد في التوبة ولم أنسَ إساءة إبني ولا صنعت تدبيراً إنجيلياً لأجله يمنحني أنا دفعة تائبة ! ...

وللآن أناديك : إعمل في قلبي لأنسى قساوة ابني ، وأنسَ لي يارب قساوتي وعدم صفحي وفرح قلب عبدك بروح تسامح إنجيلي ينسكب في قلبي تجاه كل من يسيء إليّ ...

٢٤ .

قابلني زوج وقال لي « أنا غلبان » .. وبعد فترة قابلتني زوجته وقالت لي « أنا غلبانة .. » وفي نفس اليوم قابلت أب كاهن فقال لي « أنا غلبان قوي » فرد الأب الراهب الذي كان يرافقه لزيارتي قائلاً « لأ ، ده أنا غلبان أكتر .. » ...

دخلت بعدها مخدعي ، وعبارة « أنا غلبان » تدوي في أذني كصدى لما سمعته طول النهار . فسألت نفسي وهي معي الآن « هل حقاً أنا غلبان ؟ » .. وجلت ببصري في أرجاء حجرتي فرأيت صورة للرب يسوع مكللاً بالأشواك .. فوجدت نفسي تهتف في تتابع « لا يارب ، لا يوجد إنسان إسمه غلبان ! ، لأن الإنسان حينما يريد يقدر حتى لو أفنى لحمه وجسده كي يحقق مراده ... لكني أكتشف اليوم أنك أنت الوحيد الغلبان ! » .. نعم يارب يسوع أنت الغلبان الوحيد وأنا أراك تبحث عن راحة وسعادة وفرح كل ذي جسد ... تحايل ذاك ، تطيب خاطر هذا . تداوي هناك ، وترزق أرزاقاً للحيوان والإنسان .. وفي وسط هذا كله تنتظر أن تجد راحة في قلب تائب فلا تجد ، ويكون الرد دائماً « ليس لك مكان بالمنزل !! » .

آه ياربي يسوع : قدسك الغلبان الوحيد معي ، لأنك بكل حيلة وبوسائل متبانية تحاول إسعادي وإشباعي وإمتاعي ولا تجد فيّ القلب التائب المجاهد حقاً للتوبة . فكل شهوة أريدها أصل إليها وبكل القلب والجهد أسعى لإتمامها ، أما قرعاتك على باب ضميري وحواسي ونداءاتك المتكررة للرجوع عن الإثم لا تجد مني إلا الأذن الصمّاء .. ووجهك الذي يتقاطر منه العرق كالدم في سعيك نحو توبتي لا يجد مني إلا القفا والصد . حتى طلبك المذيب للقساوة « يابني أنا عطشان لتوبتك » لا يجد مني إلا خلّ السلوك المعوج والتسويف المماطل .

حقاً ، لا يوجد إنسان غلبان ، إنما أنت ياربي يسوع الغلبان الوحيد وسط العالم .

٢٥ .

بعد جهاد طويل انتهى به المطاف أمام باب الهيكل نائماً مغطى بستر ، ليصلي عليه صلاة الموتى .. وقام بعدها راهباً يحمل ثياب الرهبنة وشكلها وجهادها .. إلا أنه سقط في خطية شبابية وصارت متسلطة عليه ، والتقط إبليس هذه الحلقة فملأ حياته باليأس وفقد الثقة في رحمة ربنا .. حتى أنه صرّح لرئيس الدير أنه ينوي ترك الدير والرهبنة . وبينما قال له رئيس الدير إفعل ما تريد أوصى خلفه إخوة يراقبونه في كل

خطوة ليعرقلوا خروجه إذا فعل ذلك .. وأحس هو بذلك فقرر الهرب من خلال ستار الليل المظلم من مكان « الساقية » بالحبال ، ونجح في الهروب من الرهبنة والدير يأساً من الخطية وفقداناً للثقة في أهليته لهذا المكان .

وهكذا شق طريقاً آخر ، فظل سنتين كاملتين يتنقل من مكان لآخر وعاد لعمله وأخذ حِلاً من أحد الأساقفة بالزواج ، وتقدم فعلاً لخطبة فتاة واتفق على ميعاد شراء الشبكة ، وفي محل الصائغ بينما ذهب أبوه يزن الشبكة لدى ميزان مصلحة الدمغة والموازين سألت الخطيبة : « متى سنتزوج ؟ » فرد عليها ببساطة وإيمان : « بعد سنة ، بعد سنتين . بعد ثلاثة ، بعد أربعة ، بعد خمسة .. زي مايريد ربنا » وما أن سمعت الخطيبة هذا الكلام حتى صرخت وهي في محل الصائغ « لا ... أوقفوا هذا الزواج .. لن أتزوج هذا الشخص » . وسردت ذلك أمام الجميع .. وعندما رجع أبوه بالشبكة الموزونة وجد أن كل شيء قد انتهى ، وحاول كثيراً أن يُفهم الخطيبة أن رد إبنه رد إيمان وتسليم ولكن دون جدوى .. وانتهى مشهد من حياة هذا التائب اليائس التارك لرهبانيته بلا ثقة في معونة الله للضعفاء وسند الله للمجاهدين ونصرة الله للمنهزمين في الحين الحسن .. نعم إنتهى مشهد ، ولكن لم ينته سعي الله المحب وراء ذلك التائب العاثر فأرسل من

يقول له : « هل الميت بعد أن يموت يقوم ثانية ليكون له مرتباً بعد أن صار له معاشاً وصرفت له مكافأة ؟! » .. وغير ذلك من رسائل على أفواه غير مؤمنين ومؤمنين .

نعم أن الله يحبه ولكن كيف يترك هو نذره يأساً من خطيته ؟ وتكرر عرض الزواج عليه ، ولكن الله كان قد دخل معه في عهد زيجي بالرهبنة فكيف يتخلى عنه وهو الذي لمس في قلبه محبة ورأى في عينيه دموع محنة ؟! إن الله الأمين قيل عنه من مختبرين أنه يظل أميناً حتى ولو خناه « لا يقدر أن ينكر نفسه » .

وبعد سنتين كاملتين وأكثر عرض الرجوع إلى الدير بواسطة أخ في الوقت الذي كان يبحث فيه رئيس الدير عنه ويرسل له رسولاً ورسالة .. حتى وطأت قدماه مرة أخرى الدير ليرى بابه مفتوحاً مثل أحضان الله المفتوحة للتائبين ، ومع استقبال الحب من رئيس الدير إمتلأ قلب التائب رجاءً في قبول الله له .. وظل في الدير ستة أشهر أخرى يلبس ثوب التلمذة حتى سمح له الله بثوب الرهبنة من جديد ، لكن عاد وسقط مرة أخرى ، فهدده رئيس الدير بالطرد .. فما كان من هذا الراهب التائب المختبر لقوة الرجاء في خلاص النفس أن إبتسم وقال لنفسه : « لا مانع من الطرد ، ولا مانع من قبول أي شيء .. لأنني ممتلىء رجاء من رحمة

ربنا التي لاحقتني وستظل تلاحقني في كل موضع وكل مكان حتى أخلص » .

لقد اختبر هذا الأب الراهب أننا بالرجاء نخلص ، وأنه مهما كان سقوط التائب فرحمة ربنا أكبر ، ومهما كان الموضع للقديسين فحنان قدوس القديسين على كل الساقطين المجاهدين لا نظير له .. إن هذا الراهب ليس من جيل سابق ، ولا من ثنايا التاريخ ، إنما أنا أكتب الآن هذه السطور بعد حديث معه إستمر حتى الثانية صباحاً في ديره .. يحدثني بفرح وثقة عن حنان الله وعن الرجاء الذي يملأ قلبه مهما كانت سقطاته .. لقد أستأذنته أن أكتب ذلك وأقدمه لك ياأخي القاريء علامة حية معاصرة على عمل نعمة الله بالرجاء في التوبة .

أرجوك أن تصلي الآن لهذا الأب الراهب لكي كما تعزينا برجاء الله في جهاد توبته ، تؤازره النعمة ليكمل جهاده بخوف الله . كما أرجوك أن تثق في رحمة ربنا مهما كانت سقطاتك ومهما كانت قامتك .. ثق ياعزيزي أن باب الله مفتوح لك مهما كانت سقطاتك وردد هذه العبارة دائماً «عندي رجاء في ربنا يخلصني» .. واثبت في جهادك وفي موضعك حتى تلاقي الرب أو تصل إليه .

كتب أخرى للمؤلف

(١) الأسـرة

١ ــ كيف يختار الإنسان شريك حياته

٢ ــ كيف يتعامل الخطيبان

٣ ــ أضواء على البيت المسيحى ــ جزء (١)

٤ ــ أضواء على البيت المسيحى ــ جزء (٢)

٥ ــ الأم بين الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة

٦ ــ الصوم وربة المنزل

(ب) لاهوت روحى :

٧ ــ توبنى يارب فأتوب

٨ ــ الصوم المسيحى ذبيحة حب

٩ ــ علاقتى مع : عدوى ــ صديقى ــ زميلى

١٠ ــ تعزيات

١١ ــ كنيستى

١٢ ــ خواطر القيامة

١٣ ــ الرهبنة

١٤ ــ التكريس

١٥ ــ حول سر الإعتراف

١٦ ــ ما هى حياتكم
١٧ ــ يوميات تائب ــ جزء (١)
١٨ ــ يوميات تائب ــ جزء (٢)
١٩ ــ رحلة مع الزمن ــ مقال ميلادى
٢٠ ــ هل يمكن لقافلة أن تسير بدون نبح كلاب ــ مقال ميلادى
٢١ ــ الشهوة والشهية
٢٢ ــ صلاة داود الأخيرة
٢٣ ــ المشورة
٢٤ ــ سلامتك أيام الامتحانات
٢٥ ــ رسالة كاهن الى راهب عن البتولية
٢٦ ــ لماذا أنا مسيحى ؟
٢٧ ــ إسندنى يارب فى تجاربى
٢٨ ــ كارز الحب
٢٩ ــ جاء ليخلص
٣٠ ــ الكاهن القبطى
٣١ ــ النجاح
٣٢ ــ من أقوال الآباء فى التواضع

(جـ) مريميات :

٣٣ ــ العذراء فى اللاهوت العقيدى

٣٤ ــ العذراء فى اللاهوت الروحى

٣٥ ــ العذراء فى التاريخ الكنسى

٣٦ ــ العذراء فى الطقس الكنسى

٣٧ ــ العذراء فى أقوال الآباء

٣٨ ــ سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم

٣٩ ــ التطويب الأرثوذكسى للعذراء بلغات (قبطى/قبطى ــ قبطى/عربى ــ قبطى/انجليزى ــ انجليزى/عربى)

(د) الكتاب المقدس :

٤٠ ــ الكارز العظيم ماربولس الرسول

٤١ ــ الأعياد فى الكتاب المقدس

٤٢ ــ تأملات فى سفر يونان النبى

٤٣ ــ يسوع فى خيمة الإجتماع

٤٤ ــ مقدمه لدراسة إنجيل مارمرقس

٤٥ ــ محاضرات من سفر نشيد الأناشيد

٤٦ ــ محاضرات فى رسالة يعقوب

٤٧ ــ دراسة فى سفر طوبيا
٤٨ ــ دراسة فى سفر يهوديت
٤٩ ــ دراسة فى سفر المزامير
٥٠ ــ دراسة فى سفر أشعياء
٥١ ــ دراسة فى سفر دانيال
٥٢ ــ دراسة فى سفر أستير
٥٣ ــ دراسة فى سفرى صموئيل الأول والثانى
٥٤ ــ دراسة فى سفر يشوع بن سيراخ
٥٥ ــ دراسة حول نبوة باروخ
٥٦ ــ دراسة حول سفر الحكمة
٥٧ ــ دراسة حول سفرى مكابين الأول والثانى

ايضاح الكلمات والعبارات الغامضة فى :

٥٨ ــ سفر التكوين
٥٩ ــ سفر الخروج
٦٠ ــ أسفار لاويين ــ حبقوق ــ صفنيا
٦١ ــ أسفار التثنية ــ يهوديت ــ باروخ ــ الأمثال والرسالة إلى العبرانيين ويهوذا

٦٢ ــ سفر أرميا ومراثى أرميا ــ يوئيل ــ عوبديا

٦٣ ــ سفر القضاه والرسالتين إلى أفسس وفيلبى

٦٤ ــ سفر راعوث والرسالتين الى كورنثوس

٦٥ ــ أسفار نشيد الأناشيد ــ ناحوم ــ الحكمة

(هـ) للخدام وإعداد الخدام :

٦٦ ــ سلامة أخوتى الخدام

٦٧ ــ العمل الفردى

٦٨ ــ صيد السمك وصيد الناس

٦٩ ــ كيف تحضر درس مدارس التربية الكنسية

٧٠ ــ محاضرات مبسطة عن لاهوت السيد المسيح

٧١ ــ مذكرات مختصرة لمحاضرة فى أوشية الراقدين

٧٢ ــ الخدمة عمل الله

٧٣ ــ الخدمة جندية روحية

٧٤ ــ الكاهن فى القداس الإلهى

إننى لم أبدأ التوبة بعد،
لكننى أجاهد لعلى أفرّح قلب الرب المحب
وربوات قديسيه فى السماء.
إنما هذه اليوميات هى تسجيل
للتلاقى اليومى مع جموع التائبين
فى كنيسة المسيح.
لعل الرب ينظر إلى ضعفى بصلواتهم،
وصلواتك يا عزيزى القارئ